وما سواها (407)

تفكير على تفكير!!

د. صادق السامرائي
الطب النفساني، العراق / أمريكا

التفكير: إعمال العقل , وإمعان النظر في الموضوع.

تراثنا الفكري هائل ويعجز فردٌ واحد على الإلمام به , ولهذا تجدنا غاطسين في محيطات من الإرث الحضاري الذي لا قدرة لدينا على هضمه , وقد إستوعبت الكثير من نفائسه الشعوب الأخرى وعملت بموجب ما أدركته وإستخرجته من درر الأفكار الكامنة فيه.

ومشكلتنا أننا نبدو وكأننا معلقين بين كنوز معرفية وإبداعات علمية معاصرة , ولا نمتلك قدرات المشي بثبات في واقع يريد إفتراسنا.

منذ أكثر من قرن وتفكيرنا يناهضنا , وعجزنا يمزقنا , والعلة في عدم وصولنا إلى منصات فكرية ذات قيمة عملية , وهذه بعض الإقترابات من محطات تفكيرنا المستحوذة على حياتنا:

أولا: التفكير المعوّق!!

علة الأمة في مفكريها , ليزعل مَن يزعل , وليغضب مَن يغضب .

الأمة المتهم الأول بقتلها مفكروها!!

ماذا قدم المفكرون؟

أكثرهم يطاردون سراب "لماذا" , ويخشون الإقتراب من "كيف"!!

إستمعت لمحاضرات لمفكرين يهدفون إلى التجديد والتغيير , وهو يتحركون في دائرة لماذاوية مفرغة , وفي النهاية ما هي التوصيات العملية القابلة للتنفيذ؟

لوم وتبرير وتسويغ وترسيخ لما هو قائم , وتعزيز للكائن , لأنه المعبر عن الإمكان الذي لا نستطيع الإتيان بأفضل منه.

المفكرون في مجتمعاتنا "يعيدون ويصقلون" , ويدورون في فلك "لماذا" , ولا يقدمون أسبابا واضحة لتمسكهم بها , وعدم قدرتهم على مغادرة خنادقها الظلماء.

المفكرون يستنسخون , ويستحضرون نظريات الآخرين ويفرضونها على واقع لا يعرفها.

تحرروا من أصفاد "لماذا"!!

لا تقدموا لنا مشاريع صامتة مخبوءة في الكتب المرفوفة في الظلمات.

نريد خرائط عمل ذات توصيفات واضحة وآليات تطبيقية متوافقة مع الواقع.

لا نريد معطيات الصوامع والتحليقات البهتانية في فضاءات الخيال السقيم.

فهل نستطيع التفكير الواضح ونمتلك الجرأة لإعمال العقل في صناعة حياتنا المعاصرة؟

التفكير: إعمال العقل , وإمعان النظر في الموضوع.

تراثنا الفكري هائل ويعجز فردٌ واحد على الإلمام به , ولهذا تجدنا غاطسين في محيطات من الإرث الحضاري الذي لا قدرة لدينا على هضمه , وقد إستوعبت الكثير من نفائسه الشعوب الأخرى وعملت بموجب ما أدركته وإستخرجته من درر الأفكار الكامنة فيه

منذ أكثر من قرن وتفكيرنا يناهضنا , وعجزنا يمزقنا , والعلة في عدم وصولنا إلى منصات فكرية ذات قيمة عملية , وهذه بعض الإقترابات من محطات تفكيرنا المستحوذة على حياتنا

علة الأمة في مفكريها , ليزعل مَن يزعل , وليغضب مَن يغضب .
الأمة المتهم الأول بقتلها مفكروها!!

ماذا قدم المفكرون؟
أكثرهم يطاردون سراب "لماذا" , ويخشون الإقتراب من "كيف"!!

لا نريد طروحات نظرية , نريد حلولا تطبيقية!!

ثانيا: التفكير والأمة!!

التفكير فريضة كما ورد في العديد من الآيات القرآنية ومنها:

"...وما يعقلها إلا العالمون"

"...لعلكم تعقلون" تكررت لمرات ومرات

"...أ فلا تعقلون" متكررة

"...بأنهم قوم لا يعقلون"متكررة

وغيرها من الايات التي تحث على التفكير وإعمال العقل في الحياة الدنيا , وكما ورد في المرويات فأول ما تنزل كلمة "إقرأ ".

فلماذا تجاهلنا عقولنا , وأذعنا لنفوسنا , وإتبعنا الذين يدينون بأهوائهم؟

هل هي الأمية القرآنية؟

هل هو الجهل المتنامي بالدين؟

مَن الذي حرّم التساؤل والتفكير؟

مَن الذي أضفى القدسية على النشاطات البشرية؟

إنها أمور محيرة طحنت أجيال الأمة , وحولتها إلى عجينة يسهل صبها في قوالب الطامعين بوجودها ومسيرتها الحضارية الرائدة.

أمة عاقلة متنورة تتفكر في خلق السماوات والأرض , وإذا بها تتحول إلى أعجاز نخلٍ خاوية , وأمسى نورها نارا , يحيلها إلى عصف مأكول!!

أمة قل هو الله أحد , صار أحدها ألف واحد ولا أحد!!

ماذا يجري في أمة تتوطن كراسيها الأحزاب المؤدينة , وأدعياء الطائفية والمذهبية , والشقاق والتضليل بالأفك والنفاق!!

فهل ستستعيد الأمة رشدها , وترتقي لجوهرها , وتحترم قيمة إنسانها , وتستضيئ بعقول أبنائها؟!!

وقل سيخرج الحي من الميت!!

ثالثا: التفكير جريمة لا تغتفر!!

تعطيل العقول من أولويات الكراسي على مر العصور , فلا يجوز إعمالها , فتلك جريمة لا تغتفر , والشواهد على قتل مَن فكّر وتساءل وتدبّر لا تعد ولا تحصى.

فالسمع والطاعة قانون مطلق , ومَن لا يطيع يكون تحت رحمة السياف المأمور بقطع الرقاب على نطع السلطان المَهيب.

عقول الأمة لم يُسمح لها بالحرية والتفاعل العلمي إلا في فترة وجيزة من تأريخها , وفيها برزت قدراتها العلمية والمعرفية التي عبدت مسيرة الرقاء الإبداعي في ربوع البشرية.

فترة بدأها المأمون , ومن ثم إنقلب عليها بفرضه رؤية المعتزلة على الناس , وإدخاله الأمة في محنة خلق القرآن.

ومضت آلية ممنوع التفكير سارية في الواقع عبر الأجيال ولا تزال فاعلة في مجتمعاتنا , فالذي يرى غير رؤية الكرسي يحسب من أعداء النظام , وينال القصاص الوخيم.

فالمعارضة كفر وإجرام , والرأي الآخر عدوان , والكرسي هو الرب والسلطان , وينوب عن الإله , وطاعة الكرسي مقرونة بطاعة رب العالمين.

المفكرون في مجتمعاتنا "يعيدون ويصقلون" , ويدورون في فلك "لماذا" , ولا يقدمون أسبابا واضحة لتمسكهم بها , وعدم قدرتهم على مغادرة خنادقها الظلماء

هل نستطيع التفكير الواضح ونمتلك الجرأة لإعمال العقل في صناعة حياتنا المعاصرة؟
لا نريد طروحات نظرية , نريد حلولا تطبيقية!!

التفكير فريضة كما ورد في العديد من الآيات القرآنية ومنها:
"...وما يعقلها إلا العالمون"
"...لعلكم تعقلون" تكررت لمرات ومرات
"...أ فلا تعقلون" متكررة
"...بأنهم قوم لا يعقلون"متكررة

لماذا تجاهلنا عقولنا , وأذعنا لنفوسنا , وإتبعنا الذين يدينون بأهوائهم؟
هل هي الأمية القرآنية؟
هل هو الجهل المتنامي بالدين؟

مَن الذي حرّم التساؤل والتفكير؟
مَن الذي أضفى القدسية على النشاطات البشرية؟
إنها أمور محيرة طحنت أجيال الأمة , وحولتها إلى عجينة يسهل صبها في قوالب الطامعين بوجودها ومسيرتها الحضارية الرائدة

هل ستستعيد الأمة رشدها , وترتقي لجوهرها , وتحترم قيمة إنسانها , وتستضيئ بعقول أبنائها؟!!
وقل سيخرج الحي من الميت!!

تعطيل العقول من أولويات

تلك حقيقة مرعبة وقاسية , فاعلة خفية وجهرا في حياتنا , فهل يستطيع المواطن أن يقول رأيه بلا نفاق ومغالطة , لأنه لا حول ولا قوة له , فلا توجد قوانين تحميه وتصون كرامته وحقوقه وتؤكد قيمته.

فالأوطان سجون , والحاكم سجّان والمواطنون أسرى أو مساجين , والجميع تحت المراقبة الشديدة , والمصير المجهول , فالقتل مباح والخطف سلاح , ومَن يسال أو يستفهم عن حالة تأتيه زوابع الصولات المبيدة لوجوده , وكلها ثيران بيضاء والأسود مكشرة الأنياب.

فأين الحق والإنصاف , وقيمة الإنسان الساهم الحيران؟!!

رابعا: أنماط تفكير!!

عندما وقع زلزال كشمير في باكستان (2005\10\8) , بقوة 7.6 درجة على مقياس رختر , وراح ضحيته أكثر من (73000) قتيل و (128000) مصاب , تحاورت مع أحد الأخوة الباكستانيين , فأدهشني جوابه , إذ قال :"إنه عقاب الله لأنهم فسدوا وهذا جزاء المفسدين"!!

وعندما وقع زلزال المغرب في عام (2023)نقرأنا ذات التخريجات والتبريرات , وكأن الأمر ضربة لازم.

اليابان أفظع بقعة للزلازل في الأرض , فهل يفكر اليابانيون هكذا؟

إنهم أبدعوا بإقامة البنايات الشامخة المقاومة للزلازل , وتعلموا كيف يدرأون مخاطرها , ويتوقون من عدوانها , فالزلازل مهما إشتدت وتعاظمت لن تتسبب بكوارث عظيمة عندهم مثلما تفعله في ديارنا.

إنهم يواجهون ويتحدون ويبتكرون , ونحن نستسلم ونجتهد بالتبريرات التخميدية الإستسلامية , وما أقرب قميص الدين والرب العظيم , فلا نستطيع خلعه , ونتمسك به ونحسبه مفتاح الغيوب؟

الزلزال أصاب المغرب (2023\9\8) وتسبب بخسائر كبيرة (أكثر من ألفين قتيل) , وكانت درجته (6.8) , لأن البنية التحتية غير مؤهلة لمقاومته , ولا توجد دراسات ومعايير للبناء المطلوب , فلكل مكان ما يلائمه من أساليب البناء , ونحن نفتقر لهذه الآليات العمرانية.

الأرض تدور وباطنها يغلي , وترتعش خوفا , وزلازلها متواصلة , ولا نستشعرها إلا عندما تتجاوز (4.5) درجة , وهي كائن حي ينبض معبرا عن حيويته , ونبضها الدائب قد يُصاب بإضطراب بين فترة وأخرى كما تصاب قلوب البشر , فتتسبب برعشة قوية , أو تتقيأ النيران من بطنها الفوارة.

ويبدو أن أكثر النيران تلفظها في البحار والمحيطات , وربما الزلازل تكون في بواطن ثلاثة أرباعها المغمورة بالماء.

ترى ألا حان الوقت للقول: تبا للولولة , وأهلا بالعلم والجد والإجتهاد؟!!

خامسا: سذاجة تفكيرنا!!

العجيب في أمرنا أن مفكرينا يساهمون في تعجيزنا وتقنيطنا , فتراهم يبررون واقع الحال على أنه تحصيل حاصل , ومن ذرائعهم العجيبة أن رئيس وزراء بريطانيا (كامبل نيرمان) عقد مؤتمرا سنة (1907) , وقرر كذا وكذا , و(وستن تشرتشل) عقد مؤتمر القاهرة سنة (1921) , وقرر كذا وكذا , وبسبب ما تقدم الأمة تعاني ما تعانيه.

فهل هذا تفكير سليم؟

إن العلاقات الدولية تخضع لشريعة الغاب وإن تبرقعت بما تريد الظهور به , والدول تفكر بمصالحها وتسعى لتأمينها بشتى الوسائل والتفاعلات , وتخوض حروبا شرسة من أجلها , وهكذا تسمعون في الخطابات أن القرارات الصعبة تكون مقرونة بالحفاظ على المصالح الوطنية.

ولا توجد دولة ضعيفة لم تتحول إلى فريسة لدولة قوية , فالقوي يأكل الضعيف , وتلك سنة التفاعلات

الكراسي على مر العصور , فلا يجوز إهمالها , فتلك جريمة لا تغتفر , والشواهد على قتل مَن فكّر وتساءل وتدبّر لا تعد ولا تحصى

عقول الأمة لم يُسمح لها بالحرية والتفاعل العلمي إلا في فترة وجيزة من تأريخها , وفيها برزت قدراتها العلمية والمعرفية التي عبدت مسيرة الرقاء الإبداعي في ربوع البشرية

مضت آلية ممنوع التفكير سارية في الواقع عبر الأجيال ولا تزال فاعلة في مجتمعاتنا , فالذي يرى غير رؤية الكرسي يحسب من أعداء النظام , وينال القصاص الوخيم

اليابان أفظع بقعة للزلازل في الأرض , فهل يفكر اليابانيون هكذا؟
إنهم أبدعوا بإقامة البنايات الشامخة المقاومة للزلازل , وتعلموا كيف يدرأون مخاطرها , ويتوقون من عدوانها , فالزلازل مهما إشتدت وتعاظمت لن تتسبب بكوارث عظيمة عندهم مثلما تفعله في ديارنا

إنهم يواجهون ويتحدون ويبتكرون , ونحن نستسلم ونجتهد بالتبريرات التخميدية الإستسلامية

العجيب في أمرنا أن مفكرينا يساهمون في تعجيزنا وتقنيطنا , فتراهم يبررون واقع الحال على أنه تحصيل حاصل

إن العلاقات الدولية تخضع لشريعة الغاب وإن تبرقعت بما تريد الظهور به , والدول تفكر بمصالحها وتسعى

الدولية , وما تبدلت بل أساليبها تطورت وتعقدت.

ومن غرائب دول الأمة أنها لا تفكر بمصالحها وتدافع عنها وتؤمنها , ولا تتعاون بينها للوصول إلى إتحاد إقتصادي أمني ودفاعي مشترك , للحفاظ على سيادتها وصيانة دولها من العدوان الخارجي , والقول المتداول عبر الأجيال , ومعناه القوم التي تتعاون لا يصيبها الذل , ووصية (المهلب بن أبي صفرة) لأولاده: " تأبى العصي (الرماح) إذا اجتمعن تكسرا ...وإذا افترقن تكسرت آحادا".

العيب فينا ونلوم الآخرين الذين يفكرون بمصالحهم , فنلقي باللائمة على الدول الإقليمية والعالمية , وننسى أنفسنا وما نفعله لإضعاف دولنا , فالإنسان في دول الأمة , مهضوم مقهور بائس فقير , يئن من الظلم والجور القبيح , ولا ينال حقوقه الإنسانية , ومحكوم بإرادة السمع والطاعة , وعليه أن يعيش في فقر مدقع لتفتح له أبواب جنات النعيم.

مواطن بلا إرادة ولا عزة ولا كرامة , والإعلام بأنواعه موجه ضده لتمرير تطلعات الكراسي الآثمة المصادرة لوجوده , والسارقة لثرواته والعاملة على حرمانه من مقومات العيش الكريم.

والمفكرون مثل "وعاظ السلاطين" , يجتهدون في تمويت الشعب , وتفريغه من شحنات القوة والإقتدار , ويوهمونه بالتبعية والدونية والخضوع لإرادة الآخرين , فيساهمون بتأمين مصالح الطامعين في البلاد والعباد , وكأنهم يتآمرون على الأمة!!

فهل يصح ما يدّعونه , فيحسبون الدنيا ساحة أمن وسلام , ويغضون الطرف عن حقائق واضحة للعيان , كأنهم يبحثون عن دليل لإثبات وجود النهار!!

سادسا: التفكير المرير والشر المستطير!!

تفكيرنا المرير إستحضر مبررات سوء المصير , لأن التفكير بآلياته ومناهجه وتطلعاته , يرسم خارطة الكينونة الفردية والجماعية للأمة.

فكيفما نفكر نكون , ولهذا فأن التركيز على آليات تفكيرنا من أولويات النهوض , وصناعة التغيير نحو الأفضل.

ومن الواضح أن تفكيرنا معطل وآلياته بالية , وخالية من معطيات العصر المتوهج بالأفكار , والرؤى والإنطلاقات الحضارية الميدانية الفاعلة في مسيرة البشرية.

تفكيرنا يميل للتقليد والتقيد بالغابرات والباليات , ويفضل التلقي والتبعية وإلقاء المسؤولية على الآخر.

وهذه مثالب تتفاعل لتشيّد المعوقات , والمصدات الكفيلة بمنع تواصل الحياة , بتغيير متناغم مع عصرها , وبتعجيل معبر عن طاقاتها وقدراتها.

وواقع الأمة يتمرغ بإنتكاسات متعاقبة , ولا يستطيع تجاوز نكسة واحدة , ويمضي بإنتاج ثقافة النكسة , ويستلطف إبداع التظلم والتشكي , والتقليل من شأن الذات وسحقها , ودفعها لتكون مقلدة لغيرها بعميائية فاضحة.

فالأمة لا تقاد بتفكير وتعقل , لأن العقل ممنوع من العمل , ولا بد من الإتباع , وهذا ما يؤسس له المتاجرون بالدين , الذين أوهموا الأجيال أن التفكير من المحرمات والسؤال من الممنوعات , ولكي تكون صحيح الإيمان عليك بالسمع والطاعة , والإذعان والتبعية وعدم التعبير عن رأيك في أي شأن.

إن الأمم لكي تتحقق عليها بإعمال عقلها بكل ما يتصل بها , وتثير الأسئلة وتبحث بجد وإجتهاد عن الأجوبة المناسبة.

ولا يمكن لأمة تريد أن تكون , الإستكانة للموروث وإتباع مَن تحولوا إلى رميم , وكأن الدنيا توقفت عندهم , ومفاتيح الحياة ملكهم , ولا قيمة للأجيال ولا دور لها إلا ترديد أقوالهم.

إن الأمة تقف إزاء نفسها وعليها أن تواجهها بشجاعة وثقة , وإيمان بالقدرة على الإنطلاق إلى آفاق

لتأمينها بشتى الوسائل والتفاعلات , وتخوض حروبا شرسة من أجلها

العيب فينا ونلوم الآخرين الذين يفكرون بمصالحهم , فنلقي باللائمة على الدول الإقليمية والعالمية , وننسى أنفسنا وما نفعله لإضعاف دولنا

تفكيرنا المرير إستحضر مبررات سوء المصير , لأن التفكير بآلياته ومناهجه وتطلعاته , يرسم خارطة الكينونة الفردية والجماعية للأمة

كيفما نفكر نكون , ولهذا فأن التركيز على آليات تفكيرنا من أولويات النهوض , وصناعة التغيير نحو الأفضل

تفكيرنا يميل للتقليد والتقيد بالغابرات والباليات , ويفضل التلقي والتبعية وإلقاء المسؤولية على الآخر

إن الأمم لكي تتحقق عليها بإعمال عقلها بكل ما يتصل بها , وتثير الأسئلة وتبحث بجد وإجتهاد عن الأجوبة المناسبة.

لا يمكن لأمة تريد أن تكون , الإستكانة للموروث وإتباع مَن تحولوا إلى رميم , وكأن الدنيا توقفت عندهم , ومفاتيح الحياة ملكهم , ولا قيمة للأجيال ولا دور لها إلا ترديد أقوالهم

التفكير الفعّال لم نتعلمه في المدرسة , ويجهله المعلم والمدرس , فآليات التعليم في مدارسنا تلقينية وتعطيلية للعقل , فلا يجوز إعمال العقل في أي موضوع , وعلينا بالحفظ وحسب , وأن نتبع ونستنسخ ,

زمن جديد , محمّل بمعطيات أجيالها المفكرة المتدارسة الباحثة الواعية , المنطلقة نحو الحقيقة المعرفية والنور الإدراكي الحضاري النبيل.

فهل من عقلٍ فاعلٍ ينير؟!!

سابعا: التفكير الفعّال!!

هو القدرة النشطة والحيوية للتفكير الحُر , المُخصَّب بمهارات التحليل والإستنتاج , وتقييم المعلومات المستحصلة من الملاحظة والتجربة وغيرها , وربطها بخيوط السببية , للوصول إلى إجراءات ذات قيمة عملية مؤثرة في تغيير الواقع.

التفكير الفعّال لم نتعلمه في المدرسة , ويجهله المعلم والمدرس , فآليات التعليم في مدارسنا تلقينية وتعطيلية للعقل , فلا يجوز إعمال العقل في أي موضوع , وعلينا بالحفظ وحسب , وأن نتبع ونستنسخ , ولا يحق لنا أن نأتي بما نراه ونتصوره ونستنتجه.

وهذا ينعكس على تفاعلاتنا ويعزز فشلنا في ميادين الحياة المتنوعة , ولا نزال بعيدين عن إكتساب مهارات التفكير الفعّال , الذي تطور في مجتمعات الدنيا المعاصرة , وتجهله مجتمعاتنا , وما ننشره يشير إلى ذلك , فكتاباتنا ميتة , وخالية من نسغ الحياة الصاعد.

وعلينا في أحوالنا المتردية في مستنقعات الغابرات , أن ننفض غبار التبعية , ونقمع توجهات تعطيل العقول , وسحق الأفكار وتقييد النظر.

ولنُخضِع كل شيئ لديناميكيات التفكير الفعّال , فنتفحصه ونقيّمه ونحلله , ونبحث عن المعقولية السببية فيه , وكيف نستخلص آليات عملية ذات قدرة على بناء الحياة , بلبنات أقوى وأسس أمتن.

وعالمنا يزدحم بالحالات المتشوفة لقراءتها بأدواته , للإنتقال بها إلى تيار الحياة الدافق بالمستجدات , وبالأمواج المتأهبة للتفاعل الخلاق.

فهل لنا أن نفكر ونحلل ونقيّم ونربط ونستنتج , ونرسم خارطة كينونة حضارية متطلعة لغدٍ أفضل وأجمل؟!!

ثامنا: التفكير والتنفير!!

التفاعل ما بيننا تنافري , فالأفكار المطروحة تحمل هذه الصبغة وتتسم بها , فالغاية من أي تفاعل الوصول إلى أقصى حالات التنافر الفكري والسلوكي.

فما أن يأتي أحدنا بفكرة حتى يجد من يبحث عمّا يُضادها ويعاكسها وينال منها , فلا فكرة في بلادنا من غير مضادات تدميرية وسلوكيات تفنيدية , فأناسنا بفندون بعضهم , ويهينون بعضهم , ويستخفون بأفكار بعضهم , وكل واحد منهم يحسب نفسه العارف العالم الذي تنتهي عنده المعارف والعلوم وغيره جاهل مشؤوم.

هذه عجيبة سلوكية بسببها ما تمكنا من الوصول بأية فكرة نهضوية إلى البرنامج والمشروع الحضاري الذي تساهم في إنجازه الأجيال المتعاقبة , بل أن هذه العاهة تسببت بتقاطع الأجيال , وإدامة التناحر ما بين أبناء الجيل الواحد , ولهذا فأنهم لا يحصدون إلا الهشيم , من جميع حركاتهم وأحزابهم وفئاتهم , ذلك أن منهجهم تنافري تناحري , وما هو متنافر يؤدي إلى تبديد الطاقات وتحطيم القدرات .

وأبناء الأمة وفقا لهذا السلوك وما يمليه من حالات يرغمهم على ما هم عليه من تداعيات , فأنهم يدورون في دوامة الخسران الأبيد , الذي لا مخرج منه ولا منقذ ولا مخلص.

خسارات تتواكب , وتداعيات تتعاقب , وأجيال تتحارب , وأفكار تتعاطب , وأحوال تتكالب , ودماء تتشاخب , وأيام تتصاعب , وكل مرتعبٍ يعلن النفير , والناس والدنيا في سعير ما بعده سعير.

ولا يحق لنا أن نأتي بما نراه ونتصوره ونستنتجه

علينا في أحوالنا المتردية في مستنقعات الغابرات , أن ننفض غبار التبعية , ونقمع توجهات تعطيل العقول , وسحق الأفكار وتقييد النظر

لنُخضِع كل شيئ لديناميكيات التفكير الفعّال , فنتفحصه ونقيّمه ونحلله , ونبحث عن المعقولية السببية فيه , وكيف نستخلص آليات عملية ذات قدرة على بناء الحياة , بلبنات أقوى وأسس أمتن

فهل لنا أن نفكر ونحلل ونقيّم ونربط ونستنتج , ونرسم خارطة كينونة حضارية متطلعة لغدٍ أفضل وأجمل؟!!

التفاعل ما بيننا تنافري , فالأفكار المطروحة تحمل هذه الصبغة وتتسم بها , فالغاية من أي تفاعل الوصول إلى أقصى حالات التنافر الفكري والسلوكي

خسارات تتواكب , وتداعيات تتعاقب , وأجيال تتحارب , وأفكار تتعاطب , وأحوال تتكالب , ودماء تتشاخب , وأيام تتصاعب , وكل مرتعبٍ يعلن النفير , والناس والدنيا في سعير ما بعده سعير.

ما أسهل الميل للتغني بالأعذار وتخليقها , ولهذا تراانا قد درجنا على إسطوانة , لماذا تخلفنا فيأتيك الجواب الفوري بسبب الدولة العثمانية وسياساتها الغاشمة , ولماذا بقينا نراوح في مكاننا , سيكون الجواب بسبب الإستعمار الظالم. ولماذا تقدمت الدول التي

تاسعا: النمطية الخائبة!!

وصلتني رسالتين تمثلان نمطية التفكير السائدة في واقعنا , والمساهمة في صناعة وتثمير الويلات والتداعيات , أولهما تتحدث عن الدول الأوربية في بداية القرن العشرين إجتمع قادتها بقيادة بريطانيا العظمى آنذاك , وهدف الإجتماع الإجابة على سؤال كيف نبقى في القمة والقوة , وكان الجواب أن نهيمن على المنطقة العربية لما فيها من ثروات وخصائص ستراتيجية وبواسطتها نتحكم بالعالم.

وتمخض الإجتماع عن خطة كان أولها تحرير المنطقة من قبضة الدولة العثمانية , وزرع جسم غريب فيها , وتمزيقها وإشاعة الإحتراب بين أهلها , وتسخير الدين لتنازعاتها وإلهائها ببعضها , وحكمها بالنيابة بواسطة حكام مأجورين أو ينفذون الأجندات بحذافيرها.

وثانيهما أن فلان الفلاني يريد أخذ النفط , وأنه يعمل بجد وعزيمة وإصرار على مصادرته من أهله , وهو يقولها بصراحة أن الدولة الفلانية عليها أن تدفع الفاتورة , وأنها في الحقيقة دولة مرهونة بإرادة جارتها , وأهلها يفترس بعضهم بعضا كالوحوش , ومن الواجب أخذ نفطها منها.

وأصحاب الرسالتين يدعون للتظلم واللطم والتسليم بالأمر الواقع وتأكيد الإنكسارية والشعور بالإمتهان.

وهذا الأسلوب في التفكير هو السائد في واقعنا منذ بداية القرن العشرين , وما أسهل الميل للتغني بالأعذار وتخليقها , ولهذا ترانا قد درجنا على إسطوانة , لماذا تخلفنا فيأتيك الجواب الفوري بسبب الدولة العثمانية وسياساتها الغاشمة , ولماذا بقينا نراوح في مكاننا , سيكون الجواب بسبب الإستعمار الظالم.

ولماذا تقدمت الدول التي كانت بعدنا وتمزقنا , قالوا إنها الصهيونية والإمبريالية.

فلكل سؤال جواب جاهز عاجز!!

و تسأل عن الفعل والعمل , فتواجَه بالصمت والوجوم !!

وعندما تحث على الجد والإجتهاد تتهم بالطوبابية والخيالية والفنتازيا!!

وحالما تتملكك الحيرة والعجب , يأتيك القول بأنه قدر مكتوب , وقد قال بذلك فلان وفلان , ويأتونك بأحاديث مختلقة وكلمات منسوبة لرموز تأريخية أو دينية!!

وتزداد حيرة ودهشة , وتريد حلا فيكون الرد , هذه دنيا فانية وعلينا أن نشقى فيها ونتعذب لكي نفوز بنعيم الآخرة!!

وما أن تذكّر بالدين , حتى تهب بوجهك عاصفة إنفعالية هوجاء تلقي بك في وديان الكفر والإرتداد عن سواء السبيل!!

وهذه النمطية التفاعلية دمرت وجودنا , وقيّدت الأجيال بأصفاد الجمود والتعفن والمراوحة في مستنقعات آسنة تتكاثر فيها عظايا الضلال والبهتان.

فالحياة تنازع وتصارع ويفوز فيها القوي الأمين على مصالحه وأهدافه , وينهزم فيها الضعيف الخائن لمصلحته والتائه بلا أهداف.

فابناء الأمة أعداء أنفسهم ومصالحهم وأوطانهم وشعوبهم , ويلقون باللائمة على الآخرين الذين يتربصون الفرص فينتهزونها وينفذوا من خلالها , وينقضون بأنيابهم ومخالبهم على فرائسهم الوديعة , التي تحلم بالآخرة وتتكر الدنيا وما فيها.

إن الحياة غاب شرس بحاجة إلى تحدي وكفاح وتماسك , وإتحاد وتعاضد وإيمان مشترك بالهدف والغاية المستقبلية الحاضرة في الوعي الجمعي , وهذا ما ينقصنا ويمنعنا من التخلق والتحقق المعاصر , فبرغم توفر عناصر القوة فينا , لكننا حولناها إلى ضعف وهوان , والأمثلة عديدة ولا تحصى , وفي القرن الحالي لدينا الكثير منها , إبتداءً بالعراق وإنتهاءً بما يحصل في منطقة الخليج , كما أن تحويل نعمة النفط إلى نقمة وسلاح ضدنا , لأفصح دليل على إرادتنا المضادة لذاتنا وموضوعنا.

كانت بعدنا وتمزقنا , قالوا إنها الصهيونية والإمبريالية.

لكل سؤال جواب جاهز عاجز!!
و تسأل عن الفعل والعمل , فتواجَه بالصمت والوجوم !!
وعندما تحث على الجد والإجتهاد تتهم بالطوبابية والخيالية والفنتازيا!!

تزداد حيرة ودهشة , وتريد حلا فيكون الرد , هذه دنيا فانية وعلينا أن نشقى فيها ونتعذب لكي نفوز بنعيم الآخرة!!

هذه النمطية التفاعلية دمرت وجودنا , وقيّدت الأجيال بأصفاد الجمود والتعفن والمراوحة في مستنقعات آسنة تتكاثر فيها عظايا الضلال والبهتان

لماذا نلوم الآخرين ونتهمهم , وهم الغيارى على مصالحهم ونحن ألد أعداء مصالحنا؟!!

قرأت أن في إحدى مدننا , يريدون تغيير مجرى النهر لشق طريق؟!!!
فتعجبت من الخبر , لأنه يشير إلى آلية تفكير غريبة , وإقتراب حجري جامد عتيق ومتطرف من الحالة التي يراد التعامل معها؟!!

لا يوجد في تأريخ البشرية , أن مجتمعا أو شعبا , قد غير مجرى نهر لشق طريق!!

البشرية تحفر الأنفاق في الجبال , وتمد الجسور فوق البحيرات والأنهار , بل وتشق طرقاتها تحت المياه , وإذا لم تصدقوا , فزورا اليابان والصين , وغيرها من دول العالم الوعرة الطبيعة ,

فلماذا نلوم الآخرين ونتهمهم , وهم الغيارى على مصالحهم ونحن ألد أعداء مصالحنا؟!!

فمتى سنستفيق من غينا ونؤمن بالذود عن مصالحنا متحدين؟!!

عاشرا: تفكيرنا المُضحِك المُبكي!!

قرأت أن في إحدى مدننا , يريدون تغيير مجرى النهر لشق طريق؟!!!

فتعجبت من الخبر , لأنه يشير إلى آلية تفكير غريبة , وإقتراب حجري جامد عتيق ومتطرف من الحالة التي يراد التعامل معها؟!!

فلا يوجد في تأريخ البشرية , أن مجتمعا أو شعبا , قد غير مجرى نهر لشق طريق!!

فالبشرية تحفر الأنفاق في الجبال , وتمد الجسور فوق البحيرات والأنهار , بل وتشق طرقاتها تحت المياه , وإذا لم تصدقوا , فزورا اليابان والصين , وغيرها من دول العالم الوعرة الطبيعة , فستجدون كم من الأنفاق تمر تحت المياه , والجسور فوقها , وغير ذلك من إبداعات التواصل والتفاعل الحضاري!

والشعوب لا تغير مجرى الأنهار , لأن الأنهار أبهار (من الشريان الأبهر) الطبيعة وشرايين الحياة!

والذي يتعدى على النهر , يتعدى على الحياة والتأريخ ويعدم الطبيعة , ويغير البيئة ويقتلها بعجزه وجهله.

إن هذا النوع من التفكير يدل على عمق المأساة التي يعيشها مجتمعنا , ويؤكد أن قدرات التفاعل المعاصر مع المشاكل والتحديات لا وجود لها على الإطلاق , وأن إقترابانتا إنفعالية غابية تدميرية وإجتثاثية إمحاقية لا غير.

فلكي نفعل شيئا لا بد من إلغاء شيئ آخر , ولكي يحكم الحزب يجب أن يقهر ويلغي الأحزاب , ولكي نبني لا بد أن نهدم , وهكذا هو سلوكنا المؤلم العليل , حيث تنطبق هذه الآلية التفكيرية على جميع مناحي الحياة في البلاد.

إن عقلية تغيير مجرى النهر لشق طريق , هي السائدة في حياتنا , ولهذا فأننا لن نتقدم , ولن نعاصر , ولن نأتي بما هو نافع للوطن والإنسان!

ذلك أن المنظار الذي نقترب به من المتغيرات المحيطية , عدساته مشوهة ولا يمكنه أن يرى إلا صورا مضطربة الملامح , تدعونا للتوهم بأننا نرى.

ولا يُعرف هل أن هذا القرار , كان قرارا هندسيا فنيا , أم أنه قرار أناس متغابين جاهلين , معتقين في صناديق الباليات والتداعيات المشينة.

فهل سنتحرر من آليات التفكير العقيم؟!

أمْ ينطبق علينا المثل القائل : " المايعرف يركص , يكول الكاع عوجه"!!

"عجيب عقول غريب قضية"؟!!

حادي عشر: التفكير والتخدير!!

يراودني سؤال غريب عن أسباب رقود الأمة في محنة التورط بماضيها ونسيان حاضرها ومستقبلها , وكلما أمعنت بالبحث عن جواب , أكتشف أن لذوي الرأي والكلمة الدور الجوهري في ذلك!!

فالأمة ومنذ إنطلاقتها الأولى كانت تتحرك ضمن آليات ومناهج متصلة بفكر ومفكرين يتفاعلون فيما بينهم , فكان مصطلح الصاحب والنصير هو السائد , فالنبي كان عنده أصحاب وأنصار , وكانت هذه الروح التفاعلية الإبداعية هي التي تقود وتنتج , وكان الصاحب والنصير مفكرا ومبدعا وممعنا في سبر أغوار الرؤى والتصورات , حتى تولدت في الأمة طاقات ذات قيمة حضارية.

فستجدون كم من الأنفاق تمر تحت المياه , والجسور فوقها , وغير ذلك من إبداعات التواصل والتفاعل الحضاري!

الشعوب لا تغير مجرى الأنهار , لأن الأنهار أبهار (من الشريان الأبهر) الطبيعة وشرايين الحياة!

والذي يتعدى على النهر , يتعدى على الحياة والتأريخ ويعدم الطبيعة , ويغير البيئة ويقتلها بعجزه وجهله.

إن عقلية تغيير مجرى النهر لشق طريق , هي السائدة في حياتنا , ولهذا فأننا لن نتقدم , ولن نعاصر , ولن نأتي بما هو نافع للوطن والإنسان!

الأمة ومنذ إنطلاقتها الأولى كانت تتحرك ضمن آليات ومناهج متصلة بفكر ومفكرين يتفاعلون فيما بينهم , فكان مصطلح الصاحب والنصير هو السائد , فالنبي كان عنده أصحاب وأنصار

كانت هذه الروح التفاعلية الإبداعية هي التي تقود وتنتج , وكان الصاحب والنصير مفكرا ومبدعا وممعنا في سبر أغوار الرؤى والتصورات , حتى تولدت في الأمة طاقات ذات قيمة حضارية.

بسقوط مفهوم الصاحب والنصير , طغى على الحياة مصطلح التابع , الذي شل العقل ومنعه من التفكير والرأي , و أوجب عليه أن يتبع ويقبع ويخنع .

توالت القرون , وفي القرن العشرين لم يبرز في الأمة مفكرون ذووا شان وقدرة على وضع الأسس المعاصرة ,

وأية نهضة أو ثورة أو حركة لا تحقق شيئا مهما إذا غاب المفكرون فيها أو إنتفى دورهم , وأن الأنبياء والرسل المؤثرين في مسيرة الحياة هم من ذوي الفكر والعقيدة والقدرة على التأمل والتعقل والإصلاح.

وبسقوط مفهوم الصاحب والنصير , طغى على الحياة مصطلح التابع , الذي شل العقل ومنعه من التفكير والرأي , و أوجب عليه أن يتبع ويقبع ويخنع , وهذا الأسلوب التفاعلي في الأمة أدى إلى تدمير قدرات الصيرورة الحضارية , ومنذ أن أفل دور الصاحب في الحياة العربية , تحول أبناؤها إلى قطيع يتبعون للذي يقهر ويحكم بالسيف ويجور ويفتك بالآخرين , ويذيق أي مفكر حر ويلات التشريد والتعذيب والقتل والتدمير , كما حصل للكثير من المفكرين والكتاب الذين كافحوا من أجل تنوير العقول وتعبيد دروب الحياة.

وتوالت القرون , وفي القرن العشرين لم يبرز في الأمة مفكرون ذووا شان وقدرة على وضع الأسس المعاصرة , للإنتقال إلى مرحلة التفاعل الحضاري القادر على التطور والنماء , وكان للأنظمة القهرية الإستبدادية دورها الأكبر في هذا المجال , مما تسبب في إنتاج الذين يكتبون ويفكرون بمداد الكراسي وحسب.

وهذه الحالة الخنوعية أدت إلى أسر الفكر العربي في منهجية سلبية تهدف إلى تبرير ما هو قائم وترسيخه وتسويغه , لكي تعطي للكرسي المفردات التي يمكنه أن يتمنطق بها ويبعد الشبهات عنه , وبأنه يقوم بما هو صحيح وصائب , وأن الذي يجري من حوله بسبب الآخرين.

ولهذا تجدنا في دائرة مفرغة من التفاعلات السلبية في ميادين العلوم المختلفة , والتي لم تأتينا بما هو نافع , وإنما جميعها تتشابه وتتماثل في طرحها , ولا تختلف إلا بالمفردات والعبارت وأساليب طرح الموضوع , لكن النتيجة واحدة , والهدف واحد , والخلاصة أن البشر عليه أن يتبع ويقبع , وأن ما يسمى فكرا ما هو إلا من نتاج الآليات التبريرية والترسيخية الكفيلة برسم خارطة الإستنقاع العربي في جميع الميادين.

قد يقول قائل , أن الأمة فيها من المفكرين الأفذاذ ما يجب أن نفخر به ونعتد , وهذا صحيح لكن مناهجهم مكررة ولا توجد أصالة في طروحاتهم , ومعظمها إن لم يكن جميعها مبني على التحليل أو التفسير , ويغفل الحلول والخطط اللازمة للتغيير , ولهذا لم يتغير المجتمع العربي ويتسابق مع المجتمعات الأخرى.

فالطروحات الفكرية مبتورة , بمعنى أنها تغوص في آليات التحليل العقيم , ولا تأتي بنتائج ذات قيمة عملية وتفاعلية توجب التحرك بآليات واضحة لصناعة الحياة.

وهذا فرق شائع بين المفكر العربي والأجنبي الذي عندما يفكر يصنع الحياة ويحرك مياهها ويطلقها نحو آفاق أوسع ومديات أبعد , أما المفكر العربي فأنه يخنق الحياة ويقتلها , ولو تأملنا المفكرين العرب أجمعين لإنتهينا إلى ذات النتيجة السلبية الإنكسارية الخسرانية , التي تؤكد أن المفكر العربي سلبي الطباع والتوجهات والمعطيات , وبسبب ذلك تم التأكيد على سلبية الحياة ومسيرتها الدامية.

فالمفكرون القوميون والوطنيون والدينيون والعقائديون والإجتماعيون وغيرهم , لم يقدموا للأمة إلا ما يغرقها بالدم والصراعات المخزية المشينة التي تدمر الذات العربية موضوعها وهويتها , وما يتصل بها من المميزات والعلامات الفارقة.

فالمفكر الأجنبي عندما يفكر يعرف أن الفكر عمل وتفاعل ما بين الناس , وأن الفكر طاقة وقوة لإطلاق ما في الناس من القابليات الكفيلة بصناعة الحياة الأفضل والأرقى , وعندنا المفكر كالمتصوف الذي عليه أن يفكر وحسب وينتمي لما يفكر به ويراه , ولا يعنيه من الفكر سوى أنه فكر وتوهم بأنه قد

للإنتقال إلى مرحلة التفاعل الحضاري القادر على التطور والنماء

هذه الحالة الخنوعية أدت إلى أسر الفكر العربي في منهجية سلبية تهدف إلى تبرير ما هو قائم وترسيخه وتسويغه

لهذا تجدنا في دائرة مفرغة من التفاعلات السلبية في ميادين العلوم المختلفة , والتي لم تأتينا بما هو نافع , وإنما جميعها تتشابه وتتماثل في طرحها , ولا تختلف إلا بالمفردات والعبارت وأساليب طرح الموضوع , لكن النتيجة واحدة , والهدف واحد

الخلاصة أن البشر عليه أن يتبع ويقبع , وأن ما يسمى فكرا ما هو إلا من نتاج الآليات التبريرية والترسيخية الكفيلة برسم خارطة الإستنقاع العربي في جميع الميادين.

قد يقول قائل , أن الأمة فيها من المفكرين الأفذاذ ما يجب أن نفخر به ونعتد , وهذا صحيح لكن مناهجهم مكررة ولا توجد أصالة في طروحاتهم , ومعظمها إن لم يكن جميعها مبني على التحليل أو التفسير , ويغفل الحلول والخطط اللازمة للتغيير

المفكرون القوميون والوطنيون والدينيون والعقائديون والإجتماعيون وغيرهم , لم يقدموا للأمة إلا ما يغرقها بالدم والصراعات المخزية المشينة التي تدمر الذات العربية موضوعها وهويتها , وما يتصل بها من المميزات والعلامات الفارقة.

المفكر الأجنبي عندما يفكر

وجدها أو حل لغزها ومعضلتها , وبأسلوبه الإستكاني الإنفعالي المتخمر في أقبية الباليات.

ولهذا فأن العلة الحقيقية التي تمخر عباب الوجود العربي تتأكد بمفكريها العاجزين عن الإتيان بمناهج عمل وصياغات بنّاءة لصناعة واقع ومستقبل ومنطلقات كينونة ذات قيمة حضارية وإنسانية.

فما تعيشه الأمة اليوم دليل كبير على فشل المفكر العربي وسقوطه في حفر الغابرات والتداعيات , وعدم قدرته على الوصول إلى إستنتاجات عملية ذات قيمة تنفيذية لتغيير الواقع والحياة.

ولا يمكن للأمة أن تخرج من مأزقها وتستعيد بعضا من هيبتها ومواضع خطواتها , إن لم يعيد المفكرون العرب النظر بآليات تفكيرهم , ويسعون إلى البحث عن حلول عملية وليست خيالية , وأن يبتعدوا عن التحليل والتفسير والتخبيل , الذي يحسبونه فكرا وما هو إلا عبث بالعقول والنفوس , وبمفردات الحياة والمعاني الإنسانية التي تُداس اليوم بأحذية الناقمين على الحياة والبشر أجمعين.

فهل سيفكر العرب ويمتلكون فكرا عربيا أصيلا منيرا يريهم الدرب واضحا والحياة أملا؟!!

وفي الختام , علينا أن نكون في عصرنا , ونبني آليات تفكيرنا المستوعبة لواقعنا , والقادرة على إستخراج وجودنا من ظلمات الأضاليل ومصادرة العقول.

يعرف أن الفكر عمل وتفاعل ما بين الناس , وأن الفكر طاقة وقوة لإطلاق ما في الناس من القابليات الكفيلة بصناعة الحياة الأفضل والأرقى

عندنا المفكر كالمتصوف الذي عليه أن يفكر وحسب وينتمي لما يفكر به ويراه , ولا يعنيه من الفكر سوى أنه فكر وتوهم بأنه قد وجدها أو حل لغزها ومعضلتها , وبأسلوبه الإستكاني الإنفعالي المتخمر في أقبية الباليات

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa407-120526.pdf

**** **** ****

شبكة العلوم النفسية العربية

رقيا بعلوم وطب النفس، لصحة نفسانية افضل

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com

الكتاب السنوي 2026 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار التاسع عشر)

الشبكة تدخل عامها 26 من التأسيس و 24 على الويب

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf

كتاب "حصاد النشاط العلمي لمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2025

التحميل من الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet-AlHassad2024.pdf

التحميل من المتجر الإلكتروني
http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=647&controller=product&id_lang=3

اشتراكات العضوية بمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2026

اشتراكات العضوية
http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3

عضوية "الشريك المميّز"
http://arabpsyfound.com/index.php?id_product=126&controller=product&id_lang=3

عضوية "الشريك الذهبي "
http://arabpsyfound.com/index.php?id_product=117&controller=product&id_lang=3

عضوية "الشريك الماسي"
http://arabpsyfound.com/index.php?id_product=116&controller=product&id_lang=3